عرض الوثيقة

الوثيقة

رقم الوثيقة: 1202635
الحقل: خبر
النوع: كشاف
نوع الصورة:

رقم العدد: 22911
الصفحة: 23
العمود: 1

العنوان:
كتاب
"حيوان الكربة" لبول كونستان

قـــلـــوب تـــعـــــوي كـــكـــــلـــب لـقـــيـط
(مراجعة كتاب بول كونستان ؛ " حيوان الكربة")(صورة)

رقم الملف:
شخصية الملف:

التاريخ: 07-02-2007
التاريخ 2: 07-02-2007

المؤلفون

- كونستان بول
- منسى مي

المواضيع

- الثقافة والآداب والفنون
- مراجعة الكتب

المصادر

- النهار

النص

كلمات المفاتيح:
مي منسى

الوقت يرتبك بين ماض وحاضر، يحاصر شخصيات الرواية في بقعات زمنية واقفة، تختصر أقدارهم، وتشلّ قدراتهم على التمييز بين الخير والشر، بين الخلل والصواب، تاركةً حرية التصرّف للغريزة التي تسوق الذاكرة برسن هواجسها، وتلوّث مخزونها، وتبتر فقرات منها، وتبالغ في أخرى، حتى ليبدو التحقيق جاريا في الكشف عن فاعل الجريمة، حيث القاتل ضحية والمقتول هو الجاني.
"حيوان الكربة"، الصادرة لدى "غاليمار"، رواية بول كونستان الأخيرة، بعد روايتيها "بوح لبوح" الحائزة جائزة "غونكور" و"الروح البيضاء" الحائزة الجائزة الكبرى للأكاديمية الفرنسية. هي ذلك السجن الذي يقبع فيه الانسان من دون أن يدري أنه وراء قضبان أبدية، وليس السجن الذي تُصنع قضبانه بيد العدالة والقانون. انه السجن المولود مع الموروثات، والمكان الوحيد الذي يشعر فيه الانسان بحريته المطلقة، الأكثر إختناقا والأكثر حصارا من صرير أبواب السجون. للقارىء في هذا الكتاب مكان. ففي المحاسبات، يضع نفسه في زنزانة قدره ويعيد النظر في طفولته والكبر، حيث تلك الحرية الملغومة، التي تشيّد حوله أسوارا، يحاول عبورها ليرى ما وراءها من فرضيات. هو يحلم بالتحرر من حريته.

الضوء مركّز على شخصيات أمامية ثلاث، كاتي، جيف، وليلي. أما الآخرون فيعبرون في ظل هؤلاء، ويصنعون الصدفة التي تكمل نيات القدر المتسلط على اللاوعي، وتستحثه على اقتراف الآثام المبررة في أعراف التحليلات النفسية، والباحثة عن الضحية والجلاد. كما لو أن كل إنسان عند ولادته هو مشروع ضحية، على عكس المرافعات القضائية التي توجه الاتهام النهائي إلى القاتل من دون الغوص في مخزونه الجيني.

بول كونستان، وعلى خط مواز للمرافعة القانونية، تصنع محكمة للقدر. هي متأنية، دقيقة، في عملها التنقيبي. يلتقط كلٌّ من كاتي وجيف وليلي عيّنات للكشف عن الطبائع البشرية في الموروث والمكتسب، لا سيما أن القدر يريد أن يربط هذا الثالوث في عملية واحدة للقتل، والتحريض عليه، والسكوت عنه. الدوافع هنا وهناك واحدة: الحنان المحروم، الطفولة المظلومة.

لا تتورط العدالة في التحليلات النفسية، خلال سعيها إلى الحقيقة، ولا تسعى الى اختراق جذور الجريمة. أمامها إمرأة متورّطة في مقتل زوجها، بالتواطؤ مع الرجل الذي يدّعي أنه أقدم على فعله حباً بها. تتسلم الكاتبة هذه القضية، العادية في ملفات المحاكم، لتدرس أسبابها بعين عالمة النفس، وذلك بتحريك مياه الماضي والحاضر لدى كل من كاتي وجيف وليلي، من أجل وضع اليد على القاتل الحقيقي، ويقينها أن القدر هو الرأس المدبّر في كل عملية قتل، كلما تقدمت في تنقيباتها.

من قتل طوني، زوج كاتي؟ هذا السؤال الذي يلتف كحبل حول رواية بول كونستان، لا يحيّر مسار التحقيق. فالقاتل يكشف فورا عن فعلته، أما المحرّضة فصامتة، ولا تدلي بشيء. تتجه أصابع الاتهامات الى ليلي الشاهدة، أو ربما المتواطئة مع جيف، في استعماله بندقيتها وسيارتها والمضي مع كلبه للبحث عن طريدته.

تنعطف بول كونستان عن مجريات المحاكمة لتسأل الماضي عن علاقة ليلي الحميمة بكاتي، أيام الدراسة وبعدها، إلى أن يظهر طوني في حياة هذه الأخيرة، ويؤدي زواجه منها إلى فراق مرير لم تندمل جروحه مع السنين في نفس ليلي، رغم انتظارها إيماءة منها لتهرع إليها. تتحقق هذه الايماءة عندما تعلم كاتي بخيانة طوني لها مع زميلتها في العمل، حيث تحملان، هي وزميلتها، في الوقت ذاته، وتنجبان صبيين يحملان الاسم ذاته، مما يعمق مأساة كاتي. كانت ليلي جاهزة للتخفيف عن صديقتها المهجورة مع ولدين، من خلال صديقها جيف الذي يرحب بمساعدة المرأة، ربما من دون أن يدري ما كانت ليلي تضمره من نيات تعالج بها مكبوتاتها، في مدّها يد المساعدة الى كاتي.

يصرخ المحامي في القاعة بصوت الكاتبة: "أفلا بد من مذنب؟ وهل تُتهم صخرةٌ سحقت عابر سبيل في انزلاقها من ارتفاع ما؟ وهل يصوَّب الاتهام إلى الجليد، إلى الشمس، إلى العواصف؟ تآلفت أحزان كبيرة في الأزمنة، التفّت حول ليلي وكاتي وجيف لتضاف إلى موروثاتهم. هذا الحزن الكبير تفجر في طوني". تعود بول كونستان إلى لعبة القدر لتتأمل في فعله العكسي، فيما لا يتدخل جيف في حياة كاتي، أو فيما لا يلتقي جيف بليلي ويأتي للعيش معها، هو الذي تطارده العدالة، وهي التي يطاردها شبح الوحدة. لكي تتحقق المأساة، كان لا بد للقاء من ان يتم بين ضحايا القدر، تضاف إليهم ضحية أخرى: الكلب الذي هو أصل الكربة في حياة جيف، ورفيقه الشاهد على الجريمة. الضحية والجلاد مبدأ بديهي في كل منا. الكلب اللقيط هو رفيق جيف، شريد مثله، ونسخة طبق الأصل عن عذاباته. كان جيف يبحث عن الحنان فلم يجد سوى الصقيع والاحتقار. يبكي جيف الارهابي أمام القضاة وهو يروي كيف طلبت منه كاتي أن يتخلّص من الكلب الذي كان صغيرا. الوالدة هائمة تلاحق رغباتها، ومن يسكت فيها جوع الحب والجوع. الوالد سكّير، عنيف، يقتل الكلب بفرّاعته ليطعمه إلى أولاده الجياع. أمام تقيؤ جيف، ينعته الوالد بالحساسية المفرطة، هذه الكلمة التي تظلّ تختمر برائحة الدم في ذاكرته، حتى تتحول الى غضب فيما هو ينفذ جريمته. كأنه كان عليه أن ينتظر أربعين عاما ليحقق الثأر من هذا الرجل الذي تصرّف بحقارة تجاه كاتي.

من الوصف الخارجي لكل من شخصياتها، يسهل على القارىء اختراق النفوس السوداء التي تطوّعت بول كونستان للتنقيب في قعرها، لكي تريه حثالات العذاب والتعاسة وما ينجم عنها من بلبلة بين الحقيقة والباطل. هذا الرجل الدميم، البرّي، الراشح عرقا نتنا، يدخل بيت كاتي بطلب من ليلي. كاتي المصابة في صميم عاطفتها من جرّاء تخلي زوجها عنها، ترتاح إلى هذا الصدر الضخم الذي يجيء ليحتوي همومها، ويتلمس خفايا الحزن ويقول الكلمة التي تنغرس في القلب. يقول: "الطفولة هنا فردوس"، فكأنه يقرأ فكرها ويتكلّم كلماتها.

كانت مرتدية فستان عرسها، تتأمل ماضيها حين دخل جيف مع الكلب. ظن أن المشهد الأبيض احتفال به وبما اقترفه لأجلها. جاء ليرمي حبّه كجيفة على قدميها، فكان عليها أن تتحمل ما لا يحتمل من لهاثه الحيواني. تقرر أن تغرق نفسها مع رضيعها في مياه المغطس. يموت الطفل، في حين تنجو هي. أمام المحكمة والفستان الملوّث بالجريمة، ينقلب الاتهام على طوني الذي يصير هو الضحية. لولا غدره بكاتي لما كان حدث ما حدث.

مي منسى
may.menassa@annahar.com.lb